

جماعة الأقران كوسيط للتنشئة الاجتماعية *Peer group as an intermediary for socialization*

صونيا عاشوري¹¹ جامعة باجي مختار - عنابة، (الجزائر). achourisanyoura23@gmail.com

تاريخ النشر: 2019.10.15

تاريخ القبول: 2019.10.06

تاريخ الإستقبال: 2019.04.14

ملخص

إن الطفل في سيرة نموه بحاجة ماسة إلى التفاعل والاتصال مع مختلف البيئات الاجتماعية المحيطة به، والتي لها أثر قوي في نموه على اختلاف المستويات، وتعتبر جماعة الأقران من الوسائط الفاعلة التي تعمل عمل التنشئة الاجتماعية فالطفل في مرحلة الدراسة ينتقل إلى جماعة الأقران ويتشكل ضمن أفرادها ويصبح يتسبب لقوانينها وضوابطها، يؤثر ويتأثر بأقرانه الذين يتفاعل معهم، وتنعكس آثار هذا التفاعل على سلوكه واستجاباته وعلى شخصيته وتطورها وعليه سوف نتطرق في هذا المقال لمقاربة جماعة الأقران مقارنة نفسية تربوية كوسيط للتنشئة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: جماعة الأقران، وسيط، التنشئة الاجتماعية

Abstract

The child in his growth needs to interact with the various social groups surrounding him, which have a strong impact on the growth at different levels, and the group of friends are active media that work on socialization. The child in the study stage moves to the peer group and is within its members and follow its laws and controls Affect and affect his friends who interact with them and reflect the effects of this interaction on his behavior and responses and on his personality and development In this article, we shall examine the approach of the peer group as an educational psychosocial approach to socialization.

Keywords: Peer group, mediator socialization,

¹ المؤلف المراسل: صونيا عاشوري، الإيميل: achourisanyoura23@gmail.com

مقدمة

التنشئة الاجتماعية تعتبر العملية النفسية والاجتماعية المهمة التي تتم بها عملية البناء السلوكي والتطبيع الاجتماعي للطفل ، فالطفل في مراحله النمائية الأولى يحتاج إلى وعاء حامي يسير ضمنه ويوفر له السلوكيات الاجتماعية المطلوبة من اجل عملية التكيف الاجتماعي والتوافق النفسي الذي يجب أن يحصله الفرد لتحقيق صحته النفسية ،

فهي عملية التلقين الأولى التي تبني القاعدة النمائية الأساسية للفرد وتتم على مستوى الأسرة من خلال تمظهرات كل أساليب التنشئة الاجتماعية أين يكون الوالدين هما أهم المحركات التي تقوم بالعملية وتشرف عليها إلى غاية دخول الطفل إلى المدرسة أين جماعة الرفاق تعتبر منعرج ضروري يساعد الطفل على عملية التكيف النفسي والاجتماعي ، فهي الوضعية النفسية الضرورية التي تعمل فيها جماعة الرفاق كوسيط يتم من خلالها تفعيل المكتسبات النمائية الأولية وتمثيلها في الواقع .

إن الطفل الذي ينتهي إلى جماعة ممثلة من الرفاق خاصة الذين يكونهم بالمدرسة يصبح يمثل دور بعينه يلتزم به و يؤديه مادام ينتهي إلى جماعة الأقران ولا يستطيع في نفس الوقت الخروج عن ذلك الدور النفسي والاجتماعي فقد يكون قائد وقد يكون تابع ، كل ذلك يحدد حسب الخصوصية النفسية والاجتماعية لأعضاء جماعة الأقران ، و الطفل مطالب ما دام ضمن الجماعة مطالب بالالتزام بكل القوانين التي تسنها وتسير ضمنها الجماعة والتي يحددها أفرادها (أي أفراد جماعة الأقران)

أنها تمثل شكل من أشكال الجماعة المصغرة التي يجب أن ينتهي إليها الطفل في هذه المرحلة العمرية النمائية حتى يحقق مكتسبات نمائية مهمة مرتبطة بمرحلة التمدرس خاصة في السنوات الأولى.

و عليه سوف نحاول من خلال هذا المقال البحث في سيكولوجية جماعة الرفاق كوسيط للتنشئة الاجتماعية وكيف أن هذه الجماعة تعتبر محطة نمائية مهمة في حياة الطفل كيف لا وهي تبني لديها مكتسبات نفسية واجتماعية وسلوكية مهمة وتنعكس على ذاته وتقديره لذاته وتحرك لديه خصائص شخصيته و عليه سوف نتطرق في هذا المقال الى : تعريف جماعة الأقران ، أشكال جماعة الأقران ، وظائف جماعة الأقران ، أساليب جماعة الأقران ، الخصائص السيكولوجية لجماعة الأقران كوسيط للتنشئة الاجتماعية .

(1) تعريف جماعة الأقران:

التعريف اللغوي: قرن: جمع، قارن مقارنة أي صاحبه واقرن به وقارن الشيء بالشيء وزانه به. والقرن للإنسان: مثله في الشجاعة والعلم وغير ذلك وجمعها أقران⁽¹⁾

تعريفها اصطلاحا: اختلفت التسميات التي أطلقها العلماء والباحثون على هذه الجماعة من الأطفال وفيما يلي سنورد بعض التعريفات عنها:

- إن مصطلح جماعة الرفاق أو الأقران هو مصطلح مركب من مفهومين الأول هو جماعة والثاني هو الرفاق أو الأقران.

- وتعرف الجماعة بأنها وحدة إجتماعية مكونة من مجموعة من الأفراد (أثنين أو أكثر). تربط بينهم علاقات إجتماعية ويحدث بينهم تفاعل اجتماعي متبادل، ولهذه المجموعة مجموعة من المعتقدات والقيم والمعايير والدوافع والأهداف ومصالح واحدة يسعون لتحقيقها، وفي ذلك يتحدد لأفرادها أدوار اجتماعية محددة ومكانة معينة⁽²⁾.

وتمثل جماعة الرفاق بالنسبة للطفل ما يسميه علماء النفس الجماعة المرجعية ويمكن تعريف الجماعة المرجعية كما يلي: "هي جماعة يرجع إليها الفرد في تقويم سلوكه الاجتماعي، ويسعى لأن يربط نفسه بها، فهي موضع احترام واعتراف كما أنها موضع انتماء وجاذبية لديه، وفيها يلعب الفرد أحب الأدوار الإجتماعية إلى نفسه وأكثرها إشباعا لحاجاته، هذا ويتأثر سلوك الفرد بالجماعة المرجعية تأثيرا واضحا"⁽³⁾.
في حين يشير اصطلاح الرفاق إلى: الأطفال الذين يشبهون الطفل في المستوى الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي وفي صفات أخرى كالسن".

أما جماعة الأقران فتعرف بأنها: "بناء اجتماعي غير رسمي يضم عددا من الأفراد يجمعهم تقارب السن أو تماثل الوضع الطبقي أو وحدة المكان الذي يرتادونه كالمدرسة أو محل العمل وهي ذات تأثير بالغ الأهمية في حياة وسلوك الفرد"⁽⁴⁾.

كما تعرف أيضا على أنها: "الجماعة التي تتكون من أصدقاء الطفل الذين يتقاربون في أعمارهم وميولهم وهوايتهم". وتعرف جماعة الأقران أيضا: "بالجماعة المتقاربة في السن والتي تزود الطفل بالمعلومات وبالتالي تطبيع اجتماعيا".

وتعرف هذه الجماعة أيضا بأنها: "جماعة من الأفراد لها بنية اجتماعية متميزة حيث تتسم بتقارب الأدوار الإجتماعية بين أفرادها ووضوح المعايير السلوكية فيها ووجود قيم مشتركة واتجاهات خاصة بها". وتعرف أيضا بأنها: "جماعة اجتماعية وتتكون من مجموعة من الأفراد لديهم نفس الاهتمامات، العمر، نفس الخلفية والمعايير الإجتماعية". كما تعرف جماعة الرفاق أيضا بأنها: "مجموعة كبيرة من الأصدقاء والمعارف لهم نفس السن ويتشاركون في نفس الخبرات"⁽⁵⁾.

وعليه جماعة الرفاق أو الأقران هي مجموعة من الأطفال المتقاربين في الناحية العمرية ولهم نفس الخلفية الإجتماعية والثقافية كما يشتركون في نفس الميول والاهتمامات ولهذه الجماعة دور هام في تنشئة الطفل كما لها تأثير بالغ على سلوكياته.

(2) وظائف جماعة الأقران :

تلعب جماعة الأقران دورا هاما في عملية التطبيع الاجتماعي للطفل وفي تلبية حاجاته، وتحقق هذه الجماعة هذا الدور من خلال مجموعة من الوظائف ويمكن إيجاز هذه الوظائف فيما يلي:

- تعطي جماعة الأقران الطفل فرصة للتعامل مع أفراد متساويين ومتشابهين معه وبذلك نجد أنماط من العلاقات والتعاملات المتساوية الأمر الذي لا تتيحه الأسرة ولا المدرسة.

- تساعد الطفل على الوصول إلى مستوى الاستقلال الشخصي عن الوالدين وعن سائر ممثلي السلطة.
- تساعد جماعة الأقران في تنمية الاعتراف بحقوق الآخرين ومراعاتها لدى الطفل، حيث أنها في طبيعة تركيبها تتكون من نظراء متساوين، فهي تعتبر مجالا أكثر مناسبة للتفاعل الموضوعي المتوازن الذي لا تظهر فيه الحدود، كما تتضح حقوق أعضائها التي ينبغي مراعاتها وتنمو قواعد مشتركة على الجميع احترامها.
- تساعد هذه الجماعة الطفل على اكتساب الاتجاهات والأدوار الاجتماعية المناسبة، فمثلا يتعلم ويكتسب الطفل مكانات وأدوار اجتماعية مثل القيادة والتبعية.
- تقوم جماعة الأقران بتصحيح التطرف أو الانحراف في السلوك بين أعضائها وهي تحقق هذا بما لها من ضغط على أعضائها.
- كما قد أحصى "حامد عبد السلام زهران" 1984 هذه الوظائف في عدة نقاط ونذكرها كالآتي:
- تنمية شخصية الفرد بصفة عامة واكتسابه نمط الشخصية الاجتماعية والدور الجماعي والشعور الجماعي.
- ثاني وظيفة تؤديها هذه الجماعة هي مساعدة الفرد على النمو الجسدي السوي وذلك عن طريق إتاحة فرص ممارسة الرياضة، والمساعدة على النمو العقلي من خلال ممارسة الهوايات، والمساعدة على النمو الإجماعي من خلال ممارسة أوجه النشاط الاجتماعي وتكوين الصداقات كما وتساعد على النمو الانفعالي من خلال المساندة الانفعالية ونمو العلاقات العاطفية.
- كما تساعد على تكوين وبلورة معايير اجتماعية معينة، وتنمية الحساسية للنقد نحو بعض المعايير الاجتماعية للسلوك.
- كما تسمح وتساعد على تنمية الولاء الجماعي في نفسية الفرد وتحفيزه على المنافسة مع جماعات أخرى.
- كما تساعد الطفل على بناء اتجاهات نفسية اجتماعية إزاء الكثير من موضوعات البيئة الاجتماعية المحيطة كالخلطة الاجتماعية والمعاملة الاجتماعية والجنس.
- ومن بين وظائفها أيضا تنمية مجموعة من السمات الشخصية المهمة بالنسبة للفرد كالاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس والاستماع للآخرين.
- كما تتيح جماعة الرفاق الفرصة للفرد للقيام بعملية التجريب والتدريب على أدوار اجتماعية وعلى تبني سلوك جديد.
- وكذلك تقوم بوظيفة استدراك النقص الحاصل في شخصية الفرد وإكمال ما عجزت الأسرة أو المدرسة عن تحقيقه كإمداد الفرد بثقافة اجتماعية حول العديد من القضايا الاجتماعية⁽⁶⁾
- وعليه فإن مختلف الوظائف التي تؤديها جماعة الأقران هي وظائف تمس جوانب ومظاهر متعددة من النمو وتتجلى أهمية هذه الوظائف على وجه الخصوص في تطوير الطفل من الناحية الاجتماعية حيث تلعب الوظائف التي تؤديها هذه الجماعة دورا مهما وضروريا في عملية التطبيع الاجتماعي للطفل، ولذلك فإن أهمية هذه الجماعة

تزداد مع تقدم الطفل في السن، حيث يمكن أن يظهر ذلك في تأثيرها على معاييرها الإجتماعية، وعليه فجماعة الرفاق تقدم الطفل ما يلي:

- أنها تساعد على اكتشاف قدراته.
- أنها تمنحه فرصة لتعلم طرق التواصل مع الآخرين.
- تساعد على الاستقلال.
- تعلمه طرق التعامل مع المشاكل.
- كما تعطيه فرصة تطوير شبكة علاقاته.⁽⁷⁾

(3) أشكال جماعة الأقران :

تتعدد وتنوع أشكال جماعة الرفاق ويعود هذا التنوع إلى السياق والمكان والزمان والقواعد التي تسودها بالإضافة إلى الهدف الذي تكونت على أساسه كما أن لكل شكل من هذه الأشكال خصائصه ومميزاته ومن بين أشكال جماعات الرفاق نجد:

1-3- جماعة اللعبة: وهي تتكون تلقائياً بهدف اللعب واللعب غير المقيد بقواعد أو حدود اللعب، وتبدأ هذه الجماعة في التكون فيما بين سن الثالثة والرابعة.

2-3- جماعة اللعب: تشارك فيها الجماعة مع المحافظة على قواعد اللعبة وأصولها، وضرورة الالتزام بها مع ما يقتضيه هذا الالتزام من ثواب وعقاب وفي هذه الجماعة يبدأ التشكل الاجتماعي للمكانات والأدوار والتوقعات.⁽⁸⁾

3-3- الشلة: وهي جماعة قوية التماسك تجمع بين أفراد محليين في المكانة والوضع الاجتماعي ويربط بين أعضاء هذا الشكل في جماعة الأقران عدة أمور هي:

- اتفاقهم على استبقاء أشخاص معينين خارجها.
- الإحساس القوي بالتماسك.
- نمط سلوك مشترك بين أعضائها.
- التفاعل القريب الحميم بين أعضائها لبعض، بحيث تمثل الشلة لأعضائها مصدراً عاطفياً وتنشأ فيها روابط صداقة قوية.

وهي جماعة أكثر تعقيداً يميزها الصراع مع السلطة أو مع جماعات أخرى ولها رموزها الخاصة بها والمشاركة ويتمثل دورها في التنشئة الاجتماعية في:

- كونها تعتبر نموذجاً اجتماعياً واضحاً لما يمكن أن يكون لجماعة الأقران من قوة ضغط على سلوك أعضائها عندما تصل إلى درجة عالية من التكامل والتنظيم بحيث تصل بهم إلى المسايرة والانصياع لها.
- يمكن أن تتحول بتوجيهه وقصد من المجتمع إلى صورة أكثر تكاملاً، وذلك بأن يضع أمامها تحدياً يستثير فيها صراعاً مشروعاً بدل ذلك الصراع المضاد للسلطة ويتراوح هذا التحدي بين محاولة حل مشكلة أو بين مثلاً مكافحة الأمية.

3-4 جماعة النادي: تنشأ في وسط رسمي يشرف عليه الراشدون وتتيح فرصة النشاط الجسدي والعقلي والتفريغ الانفعالي والتعلم الاجتماعي، ومن بين الأدوار التي تقوم بها نجد:

- أن أعضائها عن طريقها يتلقون وجهة نظر الراشدين في بعض أمور العلاقات والنظم والمشكلات في جو يمتاز بالحرية إلى حد ما.

- تمثل هذه الجماعة مجالا للتفريغ المشروع للتوترات التي يتعرض لها أعضاؤها ونتيجة ما يعانونه من إحباط وحرمان أو ألم ناتج عن عملية التطبيع الاجتماعي، كما تمثل مجالا لإشباع كثير من حاجات أعضائها.

- وما يميز جماعة النادي هو أنه إذا كان النادي يدار بواسطة الأعضاء فإن هذا يتيح الفرصة لكل عضو للعمل وفقا للتنظيم والأسلوب الديمقراطي.⁽⁹⁾

و عليه فمهما اختلفت أشكال وأصناف جماعة الرفاق، فإن لهذه الجماعات دور كبير ومؤثر في حياة الطفل وفي مختلف مراحل نموه، لأن الطفل بحاجة إلى الاحتكاك بجماعة من الأطفال المتساويين معه في جوانب متعددة ليشاطرهم اللعب أو يشارك معهم في الأنشطة وغيرهم من الأمور التي توفرها جماعة الأقران.

(4) دور جماعة الأقران في التنشئة الاجتماعية :

تلعب جماعة الرفاق أو الأقران دورا هاما وأساسيا في عملية التنشئة الاجتماعية ويظهر هذا من خلال أنها تتيح الفرصة أمام الطفل كي يتعامل مع أفراد متساويين معه في كثير من الصفات فيمر بخبرة العلاقات والتعاملات المتساوية، وهذا يعتبر جانب مهم في تنشئة الطفل لكون هذه الجماعة تتكون من أطفال متساويين مع الطفل ومتشاركين معه في كثير من الخصائص مثل المستوى الاجتماعي والاقتصادي والمستوى التعليمي والعمر والجنس، فجماعة الرفاق بتوفيرها للطفل فرصة التفاعل مع أطفال مشتركين معه في مجموعة من الخصائص يبرز بصورة كبيرة دورها الفعال في التنشئة من حيث أنها تزيل مختلف الفروقات الطبقيّة بين الطفل وأقرانه والذي ينعكس على إحساسه بأنه مساو للآخرين من حيث كونهم مرتبطين من ناحية الميول، القيم، المعايير المشتركة بينهم. لذا نجد أن الطفل يتفاعل مع المجموعة ويطور طرقا ملائمة للتعامل معها، كما أنه يدرك مكانته وشعبيته من خلالها، كما أن الطفل يتعرف على ما لديه من مهارات وإمكانيات ومواهب وذلك أثناء تأديته لأدوار متنوعة ضمن هذه المجموعة، وهذا بحكم أن من وظائف هذه الجماعة أنها توفر للطفل فرصة تعلم واكتساب أدوار اجتماعية ومكانة متعددة.

كما تؤثر جماعة الرفاق أيضا في تشكيل سلوك الفرد وهذا من خلال إتباعها أساليب متنوعة من بينها الثواب والعقاب، حيث تصبح جماعة الرفاق مصدر ثواب وعقاب لسلوكيات الطفل، كما تصبح محك يقيس الطفل بواسطتها صلاحية سلوكه الخاص ومدى فاعليته.

وعليه جماعة الرفاق أو الأقران تمثل بالنسبة للطفل ما يسميه علماء النفس الجماعة المرجعية لأنها تمثل مرجعية للطفل يحكم من خلالها على سلوكه وأفعاله بالصواب أو الخطأ التي تحقق دورها هذا في التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال:

- **الامتثال والتطابق:** حيث نجد الطفل يمثل لأوامر الجماعة وتعليماتها ويحاول التطابق مع أفرادها حتى لو اختلف ذلك عن رأي الكبار واتجاهاتهم، فقد أوضحت إحدى الدراسات ميل الأطفال إلى مسابقة أقرانهم بصورة تفوق مسيرتهم للكبار، وهذا يحمل في طياته بعض الخطورة من خلال احتمال ممارسة هذه الجماعة لسلوكيات وأنشطة منافية لقيم المجتمع وأعرافه مما قد يكون له مردود سلبي على المجتمع وعلى الطفل ذاته.
- **القبول:** فالطفل يحاول اكتساب تقبل جماعته له عن طريق أداء ما يطلب منه من أعمال دون اعتراض، وقد أوضحت دراسة "لافلن" أثر التقبل الاجتماعي على الطفل، كما حددت بعض السمات الشخصية المحددة للتقبل الاجتماعي للطفل داخل الجماعة منها: الصداقة، المحبة، المظهر الحسن، البشاشة، السرور والحماس.
- **الاستقلالية:** ينحو الطفل إلى الاستقلال عن الكبار، والتخلص من التبعية لهم وأوامرهم ونواهيهم... إلخ، وهو أمر يصعب على الطفل تحقيقه في الأسرة، وربما لا يتم ذلك بصورة جيدة في المدرسة، لذلك تكون جماعة الرفاق أو الأقران هي البديل الوحيد حيث تتاح له فرص البعد عن الكبار (وهو يعتبره استقلالاً) ليجد نفسه بين جماعة يتصرف معها بحرية أكبر، بل تتيح له فرصة ممارسة سلوكيات مختلفة لا يستطيع ممارستها في الأسرة أو المدرسة.⁽¹⁰⁾

أن جماعة الرفاق لها دور هام في عملية تنشئة الطفل، حيث انضمام الطفل إلى جماعة رفاق يجعله يتصل بأطفال من نفس عمره ونفس اتجاهاته واهتماماته وميوله، كما أن إتاحة جماعة الرفاق للطفل ممارسة أدوار اجتماعية متعددة تجعله يحس بمكانته وأهميته ضمن هذه الجماعة الأمر الذي يؤدي إلى إشباع الحاجات الأساسية للطفل والتي تعد من متطلبات هذه المرحلة (مرحلة الطفولة المتأخرة)، الأمر الذي يسمح أيضاً للطفل بتطوير مفهومه عن ذاته والذي يلعب دوراً هاماً في بلورة شخصية الطفل.

(5) أساليب جماعة الأقران: بما أن لجماعة الرفاق دوراً هاماً في تنشئة الطفل وتربيته، كما أنها تؤثر بشكل متزايد في سلوك الطفل وتعتمد جماعة الرفاق في تحقيق ذلك مجموعة من الطرق والوسائل فهي كغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية لها أساليبها المختلفة التي تستعملها في تحقيق هذه العملية ومن بين هذه الأساليب نجد:

1-5 أسلوب الثواب الاجتماعي: يعتبر من أهم الأساليب التي تتبناها جماعة الرفاق، ويقصد بالثواب أو التعزيز أو التدعيم أي حدث يأتي بعد السلوك ويؤدي إلى زيادة في حدوثه أو تكراره، كما يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى مختلف المكافآت والحوافز التي نستخدمها لتشجيع ظهور سلوك معين، كما يشمل أيضاً ما يسمى

بالتدعيم الاجتماعي كالمدرح، والابتسام وأي حدث يأتي بعد السلوك ويؤدي إلى زيادة حدوثه وتكراره، فإثابة الطفل على سلوكه السوي، يعزز سلوكه هذا ويدعمه ويثبته ويدفعه إلى تكرار نفس السلوك.⁽¹¹⁾

ويتجسد الثواب الاجتماعي في إطار جماعة الرفاق في القبول الاجتماعي لشخصية الفرد، بإيجابياتها وسلبياتها، واحترام رأيه والاستماع إليه، وإعطاءه الحرية والاستقلالية في التعبير عن مكنوناته الداخلية.

فالطفل قد يجد صدا ورفضاً اجتماعياً من قبل أسرته، أو يشعر بنوع من الاحتقار والدونية من جراء الأساليب الوالدية في التنشئة الاجتماعية، واعتقاد الوالدين أن الطفل يجب أن يسمع ويطيع فقط دون نقاش، وهذه الطريقة تثير حساسية في نفسية الطفل، مما يضطره إلى البحث عن أجواء أخرى أكثر ملائمة للتعبير عن ذاته وإشباع حاجاته، والاستجابة لدوافعه الشخصية وأفضل مجال يوفر هذه الأجواء هو جماعة الرفاق.

فجماعة الرفاق توفر للطفل الكثير من الامتيازات النفسية الاجتماعية كما أنها تحيطه بشتى أنواع الرعاية والدفاء الاجتماعي وهذا ما يؤدي بالطفل إلى الانجذاب لها أكثر والبقاء فيها ومسايرة تنظيمها حتى ولو كان ذلك يخالف سلطة الأسرة.

2-5 أسلوب العقاب الاجتماعي: ثاني أسلوب توظفه جماعة الرفاق في التعامل مع أعضائها وضبط سلوكهم هو العقاب الاجتماعي وعموما يقصد بالعقاب إيقاع أذى لفظي أو بدني أو إظهار منبه مؤلم أو منفر عند حدوث سلوك غير مرغوب فيه ومن بين الأساليب المستعملة في العقاب نجد اللوم الصريح، التوبيخ، التهديد، الضرب، الحرمان وغيرها من الأساليب، وقد أثبت أن العقاب من بين الأساليب التنشئة التي تؤدي إلى الإنقاص من السلوك الغير مرغوب فيه أسرع من ما تحدثه الأساليب الأخرى، يؤدي إيقاف العقاب من السلوك إلى ظهور السلوك مرة أخرى.⁽¹²⁾

ويمارس العقاب في إطار جماعة الرفاق على الأفراد الذين يتسببون في إثارة المشاكل داخل الجماعة، أو يكونوا أقل انضباطاً وانصياعاً ومسايرة لنظام الجماعة، وتتمثل أساليب العقاب الاجتماعي للجماعة في الرفض والنبد الاجتماعي، وعدم إعطاء أهمية وتقدير لهذا النوع من الأفراد، أو يتمثل في الإهمال الاجتماعي ويكون هذا الإجراء قصد التأثير على السلوك الناشئ عن الجماعة وتنظيمها ومحاولة تعديله أو تغييره، كما يكون أيضا قصد تغيير اتجاهات فرد من الأفراد إزاء موضوع معين. فالجماعة تسلب الفرد المكاسب التي أعطته إياها، والتي من أجلها انتهى إليها، وهذا ما يؤدي بالفرد إما إلى تعديل سلوكه وتقويمه للحصول على المكاسب والامتيازات الاجتماعية، وإما يؤدي به الأمر إلى تغيير الجماعة.

فجماعة الرفاق عليها الحفاظ على تماسكها وتناسقها وانحراف أحد أفرادها وعدم مسايرته لنظمها يزعزع استقرارها، ولهذا فهي تلجأ إلى أسلوب العقاب الاجتماعي ضد الأفراد المنحرفين عنها وهذا حفاظا على استقرارها ولضمان استمرارها.

النمذجة: وهو أيضا من بين الأساليب التي تستخدمها جماعة الرفاق للتأثير على أعضائها، ويتمثل هذا الأسلوب في تقديم نماذج سلوكية يتوحد معها أعضاء الجماعة، فجماعة الرفاق تحاول أن ترسخ أفكارا معينة أو تبني اتجاهات جديدة عن طريق إعطاء المثال داخلها، يؤدي بأعضائها إلى تقليد هذه النماذج وتبنيها، إما بطريقة شعورية واعية أين يشعر الفرد أنه يجب عليه تبني هذه النماذج أو تقمصها، أو بطريقة غير شعورية أين يجد الفرد نفسه في حلقة من سلسلة كبيرة تشكل تنظيما اجتماعيا معيناً ويجري هذا الأمر تحت ما يسمى بالتعلم الاجتماعي الذي يتم عن طريق الملاحظة.⁽¹³⁾

وما يعزز نجاح هذا الأسلوب التأثير على الطفل العضو ضمن جماعة الرفاق هو أن من متطلبات نموه حاجة الطفل إلى التقمص والتباهي بالآخرين، حيث أن تطبيع الطفل اجتماعيا يتأثر بالأوجه في التقمصية المتنوعة، حيث أن التنوع في التقمصات (التماهيات) بأفراد مختلفين يسهم إثراء شخصية الطفل.

التحفيز: وهو رابع أسلوب تتبناه وتوظفه جماعة الرفاق في تنشئة أعضائها، وهذا من خلال دفعهم وتحفيزهم على المشاركة الاجتماعية في النشاطات المختلفة، وخاصة اللعب والرحلات وغيرها من صنوف النشاطات، وهذه الأنشطة لا تتيح فرصة التعلم والتعرف على مهارات جديدة فحسب، وإنما تؤدي بالطفل إلى انفتاح شخصيته وانطلاقها، والتصرف بشكل عفوي وتلقائي مع أفراد المجتمع، كما أنها تؤدي بالطفل إلى التخلص من الكثير من الأعراض السلوكية السلبية، كالخوف من الآخرين والارتباك والاضطراب والخجل والاكتئاب، وتربي فيه صفات إيجابية كالشجاعة والمرح والانبساط.

ولهذا فإن فتح جماعة الرفاق للطفل فرصة التفاعل مع غيره في إطار نشاطات اجتماعية متنوعة تسمح للطفل بالشعور بمكانته كما تتيح له فرصة التعبير عن ذاته، والتعرف على قدراته واكتشاف مهاراته، وكذلك التعرف على طموحاته والعمل على تحقيقها.

6) الخصائص السيكولوجية لجماعة الأقران كوسيط للتنشئة الاجتماعية :

يقال أن الطفل ذو النمو الطبيعي هو بالضرورة ذلك الطفل الذي بطبعه وبفطرته يتجه إلى إقامة علاقات مع أقرانه وبحاجة إلى أن يتفاعل مع رفاقه، ولذلك نجد أن هذه الجماعة تحتل مكانة مهمة في حياته، وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن ما يميز هذه الجماعة عن غيرها من الجماعات الأخرى؟

تتميز جماعة الأقران عن غيرها من الجماعات بمجموعة من الخصائص والمميزات والتي تتمثل في:

- أنها تتألف من أطفال ذوي أعمار متقاربة.
- تحقق الرغبات الداخلية للطفل بالانتماء إلى جماعة.
- تتألف ذوي الميول والهوايات المتقاربة أو المتشابهة.
- تمتاز بحب الظهور والتميز على الجماعات الأخرى من أحياء أخرى.
- تقارب الأدوار الاجتماعية.
- وضوح المعايير السلوكية.

- وجود اتجاهات وقيم ونظم وضوابط مشتركة.

تعتبر جماعة الأقران ذات أهمية في حياة الطفل ويتضح ذلك من أثر التفاعل في الجماعة على إدراك الطفل لذاته، اتجاهاته، ميوله، وسلوكياته، ويرجع هذا التأثير إلى مختلف ما تقدمه هذه الجماعة للطفل، حيث أن الطفل في إطارها يمارس علاقات يكون فيها مساو للآخرين بعكس علاقته مع الآخرين من أفراد أسرته أو في المدرسة، فهي تساعد أيضا على الاستقلالية وتعطيه فرصة لتحقيق هوية مميزة ومكانة خاصة.

كما تكمن أهمية هذه الجماعة في كونها تشكل مصدر للمعلومات الغير رسمية، فجماعة الرفاق أقدر على تناول بعض المعلومات بطرائق غير رسمية مثل بعض المواضيع التي يمنع بحثها في الأسرة كالجنس مثلا، كما تكتسي هذه الجماعة أهميتها كونها تقدم نماذج شخصية للطفل يمكن أن يحتذي بها، كما تساعد على تنمية مفهوم الذات لديه حيث تظهر عادة تقييمات واضحة وصريحة للأطفال بعضهم لبعض، فالأطفال يستخدمون جماعة الأقران كمرآة لرؤية أنفسهم من خلالها..

كما تظهر أهمية هذه الجماعة في تأثيرها على دافعية أعضائها، حيث أن جماعات الأقران تؤثر في دافعية أعضائها وتحصيلهم في المدرسة، ففي إحدى الدراسات أظهر تلاميذ الصف السادس ابتدائي الذين ليس لديهم أصدقاء مستويات تحصيل أكاديمية وسلوك اجتماعي أقل إيجابية، واضطراب انفعالي أكثر من التلاميذ الذين لديهم صديق واحد على الأقل حتى بعد انقضاء عامين، لذلك تعتبر العلاقات مع الأقران على درجة كبيرة من الأهمية، حيث أن عدم اندماج الأطفال في مثل هذه العلاقات قد يؤدي إلى حرمانهم من فرصة تعلم المهارات الإجتماعية الضرورية في مختلف مراحل الحياة .

ولذلك فالأطفال خلال هذه المرحلة يتعلمون أن يجدوا لأنفسهم مركزا مناسباً في إطار المجموعة التي ينتمون إليها، كما تتزايد قدرتهم على اعتبار وجهات نظر الآخرين، ولهذا تبرز أهمية الانضمام إلى جماعة الرفاق والتفاعل مع الأقران في حياة الطفل ، ويشير "بيرتون" في هذا الصدد إلى أن هناك سببين حول أهمية اندماج الأطفال في العلاقات مع الأقران، يشير الأول إلى عدم مشاركة الأطفال في مثل هذه العلاقات سوف يحرمهم من فرصة تعلم مهارات إجتماعية التي تعتبر على درجة كبيرة من الأهمية في حياتهم، في حين تمثل السبب الثاني في أن الأطفال الذين يفتقرون إلى العلاقات مع الأقران يمكن ان يفقدوا أيضا فرصة لبناء الثقة بالذات الإجتماعية، التي تتطور من خلال إيمان الطفل بقدرته على تحقيق أهدافه من خلال التفاعل مع الآخرين.⁽¹⁴⁾

ولذلك فحرمان الطفل من الانضمام إلى جماعة الرفاق أو إقصاءه منها أو تعرضه للرفض من قبل أقرانه له عواقبه على الطفل.

فعلى سبيل المثال رفض الطفل من قبل الأقران يضع الطفل في حالة القلق والتوتر، هذه الوضعية تزيد من احتمال وقابلية خطر إصابته باضطرابات في النمو، خاصة إذا كان الرفض من الأقران بشكل دائم أو مزمناً.

كما يتميز الأطفال المرفوضون أو الأقل قبولا من قبل أقرانهم بخصائص تميزهم عن غيرهم من بينها: أنهم يعانون من عجز أو نقص في الكفاءات والمهارات الاجتماعية كصعوبة الدخول في العلاقات، كما لديهم أيضا صعوبة في الفهم الصحيح لبعض الوضعيات الاجتماعية.

إن الحديث عن الرفض أو الإقصاء من جماعة الرفاق، يقودنا إلى الحديث عن الشروط أو الأسس التي يقبل على أساسها الطفل في جماعة الرفاق، حيث أن جماعة الرفاق كأي جماعة لا يمكنها أن تستمر وتحافظ على استمرارها وترابطها إلا عن طريق العلاقة الوطيدة التي تربط أعضاء هذه الجماعة كما تتوقف على مدى تفاعلهم مع بعضهم البعض، ولهذا تضع جماعة الرفاق مجموعة من الشروط التي يجب توافرها في الطفل الذي ستضمه إليها وتمثل في:

- مخلص لزملائه لا يفشي أسرارهم ولا يتجسس عليهم.
- أن يكون مساهرا لما تتعارف عليه من قيم واتجاهات وسلوك وهندام.
- اتصافه بالمودعة والتعاون واللف والالطف والالستعداد لبذل مجهوداته في إرضائها.
- الأمانة والولاء التام لهذه الجماعة.
- إتقانه لبعض المهارات الرياضية، وحيازته بعض المواهب الخاصة.
- أن يعتني بملبسه وتأديبه في معاملاته مع الناس.

فبفضل هذه الشروط تضمن جماعة الرفاق انضباط أعضائها، تماثلهم واتساقهم، وإن حاد أي عضو من أعضائها عن أي شرط من شروطها فإنه بالتأكد سيفقد مكانته ضمنهم، ولهذا فاستمرارها قائم على مدى استجابة أعضائها لشروطها، إن لجماعات الرفاق أو الأقران أثر على عملية التنشئة الاجتماعية للطفل، لأن هذه الجماعة تسد وتغطي وتكمل الثغرات التي تخلفها المؤسسات الأخرى.

ولجماعة الأقران دور إيجابي وآخر سلبي ويكون دورها إيجابي إذا ما تم اختيارها بشكل حسن كما تساعد وتشبع للطفل حاجاته، أما دورها يكون سلبي عندما يمارس هذه الجماعة أفعالا مضادة لمعايير وقيم المجتمع، أي عندما تتعدى هذه الجماعة على ما هو متعارف عليه اجتماعيا، ولهذا فانضمام الطفل إلى جماعة الرفاق دون التعرف عليهم بشكل جيد ودون التعرف على أهدافها قد يسبب الإحباط والتدمير للطفل..

ولهذا يجب على الأسرة أن تساعد طفلها على انتقاء واختيار رفاقه وهذا لتفادي انضمامه إلى جماعة رفاق سيئة. وبما أن هذه الجماعة كما سبق وتناولنا تلعب دورا هاما في عملية تطبيع الطفل اجتماعيا كما تمارس تأثيرها عليه من خلال مجموعة من الأساليب التي تتبناها في تنشئة، وقد تمارس في إطار التفاعل بين أعضاء هذه الجماعة مجمعة من السلوكيات من بينها العدوان الذي يلاحظ بين هؤلاء الأطفال، وقد اهتمت العديد من الدراسات والأبحاث المهمة بدراسة سيكولوجية الجماعات بالعدوان الذي يكون بين أعضاء جماعة الأقران، وهذا على اعتبار أن هذه الظاهرة السلوكية متواجدة وشائعة فيما بين جماعات الأطفال.

ويوجد العدوان بين الأقران بأشكال متعددة، والشكل الأكثر شيوعاً هو العدوان الو سيللي والذي يهدف لتحقيق شيء أو تميز مثل الالتحام للوقوف في الصف قبل الغير، انتزاع لعبة من طفل آخر، والقصد هو الحصول على ما يريد وليس إلحاق الأذى بالطفل الآخر ولكن يمكن مع ذلك حدوث الأذى، أما النوع الثاني أو الشكل الآخر من أشكال العدوان المنتشرة بين الأقران هو العدوان العدائي، أي إنزال أذى متعمد والعدوان العدائي يمكن أن يتخذ شكل العدوان المنفتح مثل التهديم أو الإيذاء البدني، أما الشكل الثالث من أشكال العدوان الممارس بين الأقران هو العدوان العلاني الذي يتضمن التهديد أو الإضرار بالعلاقات الإجتماعية.

خاتمة

أن جماعة الأقران هي مجموعة من الأطفال المتناظرين والمتساوين من الناحية العمرية والمتقاربين من حيث الميولات والاتجاهات والهوايات، وهذا ما يساعد الطفل على النمو من الناحية الإجتماعية. ولهذه الجماعة دور هام لا غنى عنه في حياة الطفل من خلال ما تحقّقه لهذا الطفل من إشباع لبعض حاجاته، واكتسابه بعض المهارات، كما تلعب دوراً هاماً في تكوين الطفل لذاته والحكم على سلوكياته وذلك على اعتبارها جماعة مرجعية يحكم من خلالها على سلوكياته، ولذلك لا يمكن للطفل أن لا ينتمي إلى جماعة أقران لأن الحاجة إلى الانتماء تعد من الحاجات الضرورية في صيرورة نمو الطفل وعدم إشباعها له انعكاساته السلبية على نموه.

الهوامش :

- (1) محمد شفيق (2000) . العلوم السلوكية مدخل إلى علم النفس الاجتماعي ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية، ص 166
- (2) محمد شفيق ، مرجع سابق ، ص170
- (3) احمد السيد محمد إسماعيل (1995) ، مشكلات الطفل السلوكية وأساليب معاملة الوالدين ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ص237 .
- (4) 137p/Anne boudier.bernadette céleste(2002) . le développement affectif du jeune enfant, 2eme édition . Franc
- (5) حسين مصطفى عبد المعطي (1998) ، علم النفس العيادي ، دارقباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، ص 149
- (6) عامر مصباح (2003) ، التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية ، شركة دار الأمة ، الجزائر، ص229
- (7) عامر مصباح ، نفس المرجع، ص230
- (8) عامر مصباح ، مرجع سابق ، ص231
- (9) علاء الدين كفاقي (1997) ، الصحة النفسية ، دار هجر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ط4، ص101
- (10) علاء الدين كفاقي ، نفس المرجع ، ص107
- (11) فادية علوان (2003) ، مقدمة في علم النفس الارتقائي ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط1 ، ص 52
- (12) كريم بدير(دون سنة) ، الأسس النفسية لنمو الطفل ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، مصر، ص13
- (13) فادية علوان ، مرجع سابق ، ص 61
- (14) محمد شفيق ، مرجع سابق ، ص 181
- (15) فادية علوان ، مرجع سابق ، ص 57